

سورة النور

التعريف بالسورة الكريمة

تعريف بالسورة:

سورة النور سورة مدنية اشتملت على أحكام وآداب تفصيلية نحتاجها في اليوم والليلة، تقع في الجزء الثامن عشر، تسبقها سورة المؤمنون وتليها سورة الفرقان، ويبلغ عدد آياتها ٦٤ آية نزلت قبل سورة الحج وبعد سورة النصر، وعُدَّت السورة رقم مائة في ترتيب النزول، والرابعة والعشرين في ترتيب المصحف العثماني.

خصوصية السورة في الاستفتاح:

استفتح الله تبارك وتعالى هذه السورة بتنبيه العباد إلى فضلها، وعلو مكانها ومنزلتها. فقال تعالى: **(سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)**، وقد كان من عادة القرآن أن تُستفتح السور فيه بمقاصده، ويذكر الله عز وجل فيها ما يذكره، ولكن هذه السورة خاصة استفتحها الله عز وجل بتنبيه العباد على عظيم شأنها، ولذلك اعتُبر من خصائص سورة النور أن الله عز وجل استفتحها ببيان فضلها، فهذه منزلة لسورة النور لم تشاركها فيها غيرها من سور القرآن.

سبب التسمية:

اسم هذه السورة (النور)، ولم يثبت لها اسم غيره. وقيل إنّ سبب تسميتها كان بسبب المثال الذي طرحه فيها الله - جلّ وعلا- في وصف نوره - سبحانه وتعالى- فقد قال: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلِيِّ نُورٍ}، قال الشيخ أبو زهرة رحمه الله: "وإنها لو سميت سورة (الأسرة) لكانت جديرة بهذا الاسم". وذكر المفسرون أن سبب تسميتها بهذا الاسم لما اشتملت عليه السورة من أضواء وأنوار ربّانية في تشريع الأحكام والآداب والأمر الدنيوية.

قال الشيخ الشعراوي رحمه الله: " وسورة النور جاءت لتحمل نور المعنويات، نور القيم، نور التعامل، نور الأخلاق، نور الإدارة والتصرف، وما دام أن الله تعالى وضع لنا هذا النور فلا يصح للبشر أن يضعوا لأنفسهم قوانين أخرى؛ لأنه كما قال سبحانه (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور). فلو لم تكن هذه الشمس ما استطاع أحد أن يصنع لنفسه نورا أبداً".

فضل السورة:

يتجلى فضل سورة النور في أنها:

(١) من إحدى السور الهامة في بناء المجتمع الإسلامي بناءً سليماً:

وبهذا يكون فضل قراءتها يتركز في معرفة القارئ إلى الأحكام التشريعية التي سنّها الله - جلّ وعلا- واتباع تعاليمها واجتناب كلّ ما نهى الله عنه، أمّا عن ورود حديثٍ عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- بأمر قراءتها في وقتٍ أو موضع محدد فإنّه لم يرد عنه -عليه الصلاة والسلام- شيءٌ في هذا الخصوص، ولكنّ الحثّ على قراءتها وتعلّمها كان لما فيها من الأحكام والأوامر والنواهي.

(٢) واحدة من مثاني القرآن الكريم:

عن واثلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أعطيتُ مكان التوراة السبع (الطوال)، وأعطيتُ مكان الزبور المئين، وأعطيتُ مكان الإنجيل المثاني، وفضّلت بالمفصل" رواه الطبراني في الكبير وأحمد، وحسنه الألباني . وقد قسّم العلماء تبعاً لهذا الحديث سور القرآن إلى أربعة أقسام ، وهي: الطوال، والمئين، والمثاني، والمفصل.

فضل السورة:

- فالطوال: سبع سور: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، فهذه ستة، واختلفوا في السابعة وهي الأنفال وبراءة معا على الأرجح.
 - والمئون: هي السور التي تزيد آياتها على مائة أو تقاربها.
 - والمثاني: هي التي تلي المئين في عدد الآيات.
 - والمفصل: هو آخر القرآن، واختلفوا في تعيين أوله على اثني عشر قولاً، وأرجحها: ق ~ ، فالحجرات.
- (٣) اهتمام الصحابة الكرام بهذه السورة:

ومما يدل على فضلها وعظم شأنها، وما فيها من علم ومعرفة وهداية، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوصي أهل الكوفة فيقول: علموا نساءكم سورة النور (وفي رواية: النساء والأحزاب والنور) لأنها تشتمل على أحكام تتعلق بالنساء، وكذلك ما ورد عن أبي وائل السلمي قال حضرت عند ابن عباس في الحج فقام يخطب الناس، فقرأ سورة النور فما يزال يفسرها حتى قلت: " والله لو سمع هذا الروم والفرس والديلم لأسلموا "

محور السورة ومجمل الموضوعات التي تناولتها:

المحور الرئيسي الذي تدورُ حوله أحداث الآيات كافة هو أصول التربية وآداب التعامل مع مختلف الأطياف الاجتماعية في البيت والزيارة والاستئذان، وكذلك مشكلات الغريزة الجنسية - وهي من أعتى الغرائز وأقواها- وضبط هذه الغريزة في مسارها الفطري السليم الذي لا بد منه لضمان نفس شريفة، وخلق مستقيم، وعفة شاملة، وغيرها من الأحكام والآداب؛ لذا يرى بعضُ أهل العلم أنّ تسميتها بسورة الأسرة اسمٌ تستحقّه هذه السورة بامتياز. ويجري سياق السورة حول محورها الأصل في خمسة موضوعات عامة:

• الموضوع الأول:

ويتضمن:

- الإعلان الحاسم الذي تبدأ به ويليه حد الزنا، وتفضيع هذه الفعلة، وتقطيع ما بين الزناة والجماعة المسلمة، فلا هي منهم ولا هم منها.
- ثم بيان حد القذف وعلة التشديد فيه، واستثناء الأزواج من هذا الحد مع التفريق بين الزوجين بالملاعنة.
- النزول ببراءة عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك وقصته بعد أن قُذفت وأوذيت في عرضها، وينتهي هذا الشوط بتقرير مشاكلة الخبيثين للخبيثات، ومشاكلة الطيبين للطيبات. وبالعلاقة التي تربط بين هؤلاء وهؤلاء.

محور السورة ومجمل الموضوعات التي تناولتها:

• الموضوع الثاني :

يتناول وسائل الوقاية من الجريمة، وتجنب النفوس أسباب الإغراء والغواية فيبدأ:

- بآداب البيوت والاستئذان على أهلها،
 - والأمر بغض البص،
 - والنهي عن إبداء الزينة لغير المحارم،
 - والحض على إنكاح الأيامى،
 - والتحذير من دفع الفتيات إلى البغاء.
- وكلها أسباب وقائية لضمان الطهر والتعفف في عالم الضمير والشعور، ودفع المؤثرات التي تهيج الميول الحيوانية، وترهق أعصاب المتحرجين المتطهرين، وهم يقاومون عوامل الإغراء والغواية.

محور السورة ومجمل الموضوعات التي تناولتها:

. الموضوع الثالث:

يتوسط مجموعة الآداب التي تتضمنها السورة، فيربطها بنور الله.

- ويتحدث عن أظهر البيوت التي يعمرها وهي التي تعمر بيوت الله..
- وفي الجانب المقابل الذين كفروا وأعمالهم كسراب من اللمعان الكاذب ، أو كظلمات بعضها فوق بعض.
- ثم يكشف عن فيوض من نور الله في الآفاق في:
 - ✓ تسبيح الخلائق كلها لله.
 - ✓ وفي إزجاء السحاب.
 - ✓ وفي تقليب الليل والنهار.
 - ✓ وفي خلق كل دابة من ماء.
 - ✓ ثم اختلاف أشكالها ووظائفها وأنواعها وأجناسها، مما هو معروض في صفحة الكون للبصائر والأبصار.

محور السورة ومجمل الموضوعات التي تناولتها:

. الموضوع الرابع:

يتحدث عن بعد المنافقين عن الأدب الواجب مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الطاعة والتحاكم، وعلى الجانب الآخر يصور أدب المؤمنين الخالص وطاعتهم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ويعددهم على هذا الاستخلاف في الأرض والتمكين في الدين، والنصر على الكافرين.

. الموضوع الخامس:

يعود بنا إلى آداب الاستئذان والضيافة في محيط البيوت بين الأقارب والأصدقاء، وإلى آداب الجماعة المسلمة كلها كأسرة واحدة، مع رئيسها ومربيها - رسول الله صلى الله عليه وسلم - وتُختم السورة بإعلان ملكية الله لما في السماوات والأرض، وعلمه بواقع الناس، ورجعتهم إليه، وحسابهم على ما يعلمه من أمرهم، وهو سبحانه بكل شيء عليم.

سبب النزول:

لم تنزل سورة النور كاملةً على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بل كان لكل مجموعة آياتٍ منها سبب نزولٍ مختلف، ويخلص أهل العلم أنّ السبب الرئيسي لنزول سورة النور هي حادثة الإفك التي اتّهم فيها المنافقون السيدة عائشة أم المؤمنين بأنها أتت الفاحشة مع الصحابي رضوان بن المعطل - رضي الله عنه - فنزلت الآيات الكريمة مبينةً براءتها أمام جميع المسلمين، ونزلت أيضًا آيات القذف واللعان وعقوبة كلّ منها، وسيأتي بيان ذلك بالتفصيل في حينه.

مقاصد سورة النور:

ترتكز مقاصد سورة النور على محور التربية والأخلاق فهي تحتوي الكثير من الأحكام التي تنظم المجتمع الإسلامي أخلاقياً، وهي تتضمن الكثير من الأحكام والمبادئ التي يشرعها الله - تعالى- لعباده فهو يعلم خير الأمور وشرّها بالنسبة لهم، مع التأكيد على أنّ ما يختاره الله - تعالى- من الأحكام هو فرضٌ على كلّ المسلمين ومخالفته يُعتبر ذنباً يستحق العقاب، فقد كان من مقاصد سورة النور:

✓ أنّ الله - تعالى- بيّن الأحكام المتعلقة بجريمتي الزنى والقذف وبيان عقوبة كلّ منهما مع بيان أثر هاتين الجريمتين على الأسرة والمجتمع.

✓ ولعلّ أهم مقاصد سورة النور كان تبرئة السيدة عائشة -رضي الله عنها- ممّا اتهمها فيه المنافقون وأنها كانت طاهرة عفيفة، وقد رفع الله -جلّ وعلا- شأنها أمام المسلمين جميعاً مع التطرق إلى التحذير من إشاعة مثل هذه الأمور في المجتمع الإسلامي وتوعد الله -تعالى- من يشيع الفاحشة بين الناس بالعذاب والخزي في الدنيا والآخرة، وهذا في قوله -جلّ وعلا-: **{إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}**، فلا بدّ للمسلم حسن الظن بالمسلمين وعدم ترويج الشائعات التي تؤذي الآخرين.

مقاصد سورة النور:

✓ ويتبين عند دراسة مقاصد سورة النور أنّ الله - سبحانه وتعالى- جاء على ذكر الوقاية من الوقوع بالمحرمات والفواحش بأن أمر المسلمين بالاستئذان عند دخول البيوت وغيض البصر وعدم إبداء الزينة إلا أمام المحارم وذلك في قوله تعالى : {وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا} وَلِيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ}، ثم إنه أمر الناس بالتوبة عن ما كانوا يقومون به من أمور الجاهلية حتى يفلحوا في الدنيا والآخرة.[٧]

✓ ومن مقاصد سورة النور الحثّ على تزويج الشباب وذلك لتحسينهم ومنعهم من ارتكاب الفواحش مع التحذير من اتباع خطوات الشيطان وأنّ خطواته تؤدي إلى الهلاك لا محال، فالشيطان قد توعد كلّ بني آدم بأن يستدرجه من سوءٍ إلى سوء من ذنبٍ إلى ذنب حتى تنتهي به السبل إلى جهنم وبئس المصير، فقد قال -تعالى-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}، مع الإشارة إلى فضل الله -جلّ وعلا- بأنّه يهدي عباده ويزكيهم ويسمع دعاءهم.

مقاصد سورة النور:

✓ ثم إنّ من مقاصد سورة النور تنبيه الناس مسلمين كانوا أو منافقين على أدب الحديث مع الرسول الكريم بعدم رفع الصوت على صوته والتأدب بالحديث معه، فقد قال -تعالى-: **{لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا}**، كما ألمحت السورة أن صلاح المجتمع ينطلق من صلاح الأسرة نفسها لذا كان من مقاصد سورة النور التركيز على الطفل والشاب والمرأة في الأسرة لتأهيلها وتربيتها ليصلح المجتمع كاملاً.